كيف ولماذا أخرجنا من العراق

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد: لقد أراد الله تعالى للأمة الإسلامية البقاء والاستمرار بعزة ومنعة، وسيادة وقوة إلى يوم القيامة، فشرّع لهم مقومات ذلك، وبيّن كلياتها وجزئياتها في صورة كاملة وشاملة، بحيث لو طبقوها في حياتهم لازدادوا يوماً على يوم عزاً ومنعة، وسيادة وقوة.

ومن أهم تلك المقومات: الأمة الواحدة ذات الوطن الواحد، فكل المسلمين على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم في منطق الدين الإسلامي، وحكم القرآن وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، مواطنون متساوون في كل الوطن الإسلامي، بمعنى: انه تجمعهم دولة واحدة، وحقوق مشتركة، وتاريخ واحد، وعملة واحدة، ووطن واحد، لهم أن يسافروا فيها، أو يسكنوا أي نقطة منها، أو يكتسبوا في كل مكان، أو يتاجروا بينها، أو يتملكوا شيئاً أو أرضاً في أي نقطة منها، وما إلى ذلك من الأمور المرتبطة بالأمة الواحدة والوطن الواحد.

وكان المسلمون يطبقون هذا المنطق الإسلامي حوالي أربعة عشر قرناً، ويعملون بحكم الله والقرآن وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) إلى ما قبل قرن واحد تقريباً، فكانوا في تلك المدة الطويلة هم سادة الدنيا وقادتها، وروّادها نحو الخير والسلام، والرقي والازدهار. فحسدهم الأعداء، وخططوا للكيد بهم، وتآمروا على أن يستذلوهم ويستضعفوهم.

ومن أهم تلك الخطط التي حاكوها لهم، وأخطر تلك المؤامرات التي دبّروها عليهم، هو مخطط: تفريق الأمة الواحدة وضربها، وتقطيع الوطن الواحد وتمزيقه.

وكان هذا المخطط مخططاً خبيثاً ودقيقاً، حيث رسمت فيه بريطانيا حدوداً مصطنعة بين الوطن الإسلامي، وابتدعت فيه هويات وجنسيات، وجوازات وإقامات، كي تمزق الصف الإسلامي، وتفرق شمل المسلمين، وتجعلهم أمما ضعيفة ضامرة، لا حول لها ولا قوة، مغلوبة على أمرها.

وقد آل أمر المسلمين اليوم إلى ما خطط له المستعمرون، فترى الوطن الإسلامي دويلات صغيرة يفصلها حدود كاذبة، وترى الأمة الإسلامية أمماً ضعيفة يفصلها حواجز نفسية مصطنعة، فكل يوم نزاع وحرب على الحدود الكاذبة، وكل يوم شجار وتخاصم، وتهجير وتسفير للمواطنين الآمنين.

ولا حلّ لهذه المشاكل، ولا نجاة منها، إلا بإلغاء الحدود المصطنعة بين الوطن الإسلامي والرجوع إلى الوطن الواحد، وإلغاء الجنسيات والهويات، والإقامات والجوازات المبتدعة بين الأمة الإسلامية والرجوع إلى الأمة الواحدة، وأرجو أن يكون ذلك اليوم قريباً إن شاء الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز، وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

وقبل ثلاثين عاماً

قبل أكثر من ثلاثين عاماً، أي: في عام ألف وثلاثمائة وتسعين هجرية على هاجرها آلاف التحية والسلام، أُخرجنا من العراق، وسنذكر بعض أسباب ذلك، فإنه قد أخرجتنا بدعة الغرب وقوانينه التي صدرها للبلاد الإسلامية وطبقها عملاؤه، وأصبحنا ضحية مخططاته ومؤامراته، وسقّرتنا لعبة الجناسي والهويات، والإقامة والجوازات، وهجرتنا فرية الحدود الجغرافية الكاذبة بين الوطن الإسلامي الواحد.

ولا يخفى أني كنت من أول يوم ونحن في العراق مخالفاً لما ظهر في البلاد الإسلامية من البدع الغربية والقوانين الوضعية(١) مما يسمى بالهوية، والجنسية، والجواز والإقامة وما أشبه ذلك من الأمور المبتدعة التي لم ينزل الله بها من سلطان، والتي سببت تفريق كلمة المسلمين، وتقييد حرياتهم، وتكبيل كل واحد منهم بقيود وأغلال، حتى لا يتمكن المسلمون من تشكيل وحدتهم المقررة شرعاً.

البدعة والاعتراض عليها

ثم إني اعتراضاً على هذه البدع المحرمة شرعاً لم أقدم على أخذ هوية ولا جواز، ولا اقتناء جنسية ولا إقامة، وعلى إثره لم أستطع أن أسافر إلى خارج العراق، إلا إلى سفر الحج حيث اصطحبني والدي (قدس سره)(٢) إلى الحج بعد أن بذل (رحمه الله) الحج لي وذلك بوسيلة مختلفة عن تلكم المراسيم.

وكيف كان، فإني استنكاراً للقوانين الغربية الكابتة، تركت اقتناء ما ابتدعوه من هوية وجنسية، وإقامة وجواز، حتى اضطررت إلى أخذ ذلك عندما قصدوا إخراجي من العراق، ذلك لأن الحكومة العفلقية(٣) المتسلطة بقوة الحديد والنار على العراق قررت تسفير المؤمنين وإخراجهم من مسقط رأسهم ووطنهم، وتسخير البلد

١ـ للتفصيل انظر كتاب (تلك الأيام) و (حياتنا قبل نصف قرن) و (بقايا من حضارة الإسلام كما رأيت) للإمام الراحل (قدس سره).

٢ـ آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (رحمه الله) ولد في كربلاء المقدسة (١٣٠٤هـ)، كان عالماً تقياً، ورعاً عابداً، زاهداً كثير الحفظ، جيد الخط، وكان صاحب كرامات، وهو (ره) من خيرة تلامذة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين في العراق)، توفي في (٢٨ شعبان عام ١٣٨٠هـ) ودفن في الحرم الحسيني الشريف.

٣ـ نسبة إلى ميشيل عفلق أحد مؤسسي حزب البعث الحاكم في العراق (١٩١٠-١٩٨٩م) ولد بدمشق وقُبر ببغداد.

وتسليمه لأسيادها بريطانيا وأمريكا وإسرائيل، وقد ذكرت تفصيل ذلك في بعض ما كتبته نقلاً عما قاله وزير داخليتهم.

الضرورات تبيح المحذورات

نعم، لقد اضطررت أخيراً إلى اقتناء ما يسمى بالإقامة وجواز السفر لخروجي الاضطراري من العراق، وذلك تفادياً لما يصيب الإنسان من الأخطار كالسجن وشبهه إذا لم يحمل معه شيئاً من هذه المبتدعات، وقد حصلت على هذه الأمور لمغادرتي مكرهاً العراق مسقط رأسي، إلى سوريا، علماً بأن الحكومة البعثية العراقية كان من قصدها إخراجي إلى إيران، ولكني لم أكن أرضى بالذهاب إلى إيران، لأن الشاه كان يضادّني مضادة شديدة وخاصة بعد أن أقمت مجلس الفاتحة في كربلاء المقدسة على أرواح المؤمنين الذين قتلهم الشاه في قصة معروفة في إيران.

وكان في حصولي على الجواز وعلى تأشيرة الخروج من العراق والدخول إلى الأراضي السورية تسهيل لمغادرتنا، فلقد كان الاستعمار يهدف إلى إخراج الشيعة من العراق ونفيهم من وطنهم ومسقط رأسهم، وقد خططوا لذلك على يد ياسين الهاشمي(٤)، ثم عبد المحسن السعدون(٥)، وذلك قبل الانقلاب العسكري الذي قاده

٤ـ ياسين الهاشمي رئيس وزراء العراق عدة مرات، ولد سنة ١٨٨٤م في مدينة بغداد، التحق بالكلية العسكرية في استنبول، كان من أعوان فيصل الأول حيث عينه رئيساً للأركان في سوريا أيام حكومة فيصل هناك، وبعد تعيينه رئيسا للوزراء زار المس بيل وصافحها وقال لها: نريد معونتكم ومعونتُكِ أنت بوجه خاص. أنظر كتاب أعلام السياسة في العراق: ص١٠١-١٠٢. وتقول المس بيل في احدى رسائلها: اعتقد أن ياسين رجل القَدَر. التجأ إلى سوريا ولبنان ومات عام ١٩٣٧م ودفن إلى جوار صلاح الدين الأيوبي. أطلق عليه لقب أتاتورك العراق لقساوته وعنفه وطغيانه، وتكفل بمهمة تصفية الحوزات العلمية في العراق، فطارد رجال الدين وقتل بعضهم ونفى البعض الآخر ومنع إجراء مراسم الشعائر الحسينية واستخدم العنف في تطبيق التجنيد الإلزامي.

٥ـ عبد المحسن السعدون (١٨٧٩ ـ ١٩٢٩م) سياسي عراقي، ولد في مدينة الناصرية جنوبي العراق، من الأسر التي حكمت مقاطعة المنتفك (منطقة واسعة تقع في الشمال الغربي للبصرة)، الأمر الذي أهله للإلتحاق بمدرسة العشائر في استانبول قبل أن يبلغ الثالثة عشرة من عمره، وبعد تخرجه اختاره السلطان عبد الحميد الثاني مرافقاً له مع أخيه.

وند احتلال بريطانيا للعراق حظي السعدون ـ بحكم ماضيه ومحتده ـ رضا الإنجليز، فعين وزيراً للعدل في الوزارة النقيبية الثانية، وعين وزيرا للداخلية عام ١٩٢٧م ولعب دوراً ملحوظا في تمرير المعاهدة مع الإنجليز والوقوف في وجه المعارضة الوطنية وعلى الأخص معارضة رجال الدين، فشكل الوزارة في العام نفسه (١٩٢٢م).

عرضه رجال الدين بشدة لسياساته وبدعم الملك والإنجليز أحبط النفوذ السياسي لرجال الدين عبر إجراءات

بأمر الأسياد عبد الكريم قاسم(٦) وصار وبالاً على العراق والعراقيين، حيث فتح الباب على مصراعيه لقراصنة الحكم، وتسبب في مجيء البعثيين العفالقة إلى بغداد ليسرقوا الحكم من أهله وشعبه، ولينفّذوا كل ما خططه الاستعمار واليهود ولم يكن يوفق بعد لتطبيق من تسفير وتهجير وغير ذلك.

خديعة حصر المهن

وكيف كان، فان عبد المحسن السعدون شرّع في المجلس قانون (حصر المهن) ومعنى (حصر المهن) هو: أن لا يكون هناك إنسان غير عراقي يستطيع أن يشتغل ويعمل في العراق حتى ليوم واحد، وذلك من غير فرق بين أن يكون غير العراقي هذا: سورياً أو أردنيا، كويتياً أو بحرينياً، إيرانياً أو أفغانياً، أو ما إلى ذلك، بحجة أن غير العراقي يكون أجنبياً في العراق فلا يسمح له بالعمل، مما معناه: الرد الصريح على القرآن الكريم القائل: ((إنما المؤمنون أخوة))(٧) والمعلن: ((إن هذه أمتكم أمة واحدة))(٨) والرد الواضح على الرسول الحبيب(صلى الله عليه وآله) القائل: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي،

ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))(٩) »(١٠).

تعسفية وإرهابية. رفع عدد أفراد الجيش لتقوية سلطة الدولة ضد الأكراد في الشمال والعشائر في الوسط والجنوب. عرفت سياساته بالتوافق مع الإنجليز في مطالبهم، رغم إظهار بعض الاعتراض عليهم ولكنه مايلبث أن يلبي مطاليبهم في النهاية. مات منتحراً في ١٣/ ١١/١٩٢٩م. انظر الموسوعة السياسية: ج٣ ص٨٥٤ حرف «ع».

٦ـ عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدي من مواليد (١٩١٤م) بغداد، التحق بالكلية العسكرية في عام (١٩٣٢م). شارك في حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) في جبهة الأردن، انتمى لتنظيم الضباط الأحرار عام (١٩٥٦م). قام بانقلاب عسكري عام (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م)، أطاح بالحكم الملكي، قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بما فيهم الملك فيصل الثاني، أعلن الحكم الجمهوري. ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ما عدا الحزب الشيوعي الذي أضحى الحزب المحبب للسلطة، وألغى الحكم المدني. استمر حكمه قرابة أربع سنوات ونصف تقريباً. تعرض في عام (١٩٦٣م) لانقلاب عسكري دبره عبد السلام عارف مع مجموعة من الضبّاط البعثيين أمثال أحمد حسن البكر وعبد الكريم فرحان وصالح مهدي عمّاش وغيرهم، أعدم رميا بالرصاص مع بعض رفاقه في دار الإذاعة في التاسع من شباط ١٩٦٣م. للمزيد راجع كتاب عبد الكريم قاسم البداية والسقوط.

٧ـ سورة الحجرات: ١٠.

٨ـ سورة الأنبياء: ٩٢.

٩ـ سورة الحجرات: ١٣.

١٠ـ معدن الجواهر: ص٢١.

وبعد تصويب المجلس قانون (حصر المهن) جاء دور التطبيق، فأخذت السلطات العراقية تمنع العراقيين من تشغيل أي مسلم غير عراقي، بحجة أنه أجنبي، وأنه يسلب فرص العمل عن المواطنين العراقيين.

وهكذا خالفوا حكم الله والرسول(صلى الله عليه وآله)، وزرعوا الفرقة بين المسلمين، وأفسدوا في أرض العراق الآمنة، حتى إذا قضى السعدون وطره في الحكم، ونال الاستعمار منه مآربه، اختلفوا معه في قضايا خاصة واظهروا سخطهم عليه، ثم غدروا به وقتلوه في المجلس بطريقة ملتوية كما هي عادتهم، ثم أشاعوا: أن القاتل هو نفس عبد المحسن، وقد انتحر باطلاق الرصاص على نفسه، وتغطية على خيانتهم أخذوا يمدحونه جهراً، ويثنون عليه علانية، وأوعزوا إلى عملائهم الآخرين أن يقيموا الحداد على روحه، وأن يؤبنوه، حتى قال بعضهم: يقتلونه ثم يقيمون له الفاتحة، وقال بعضهم في عبارة أخرى أيضاً وبحسب ما كان متعارفاً من غدر العفالقة البعثيين: يقتلونه بالليل ويقيمون له الفاتحة بالنهار، وللتمويه الأكثر نصبوا تمثال السعدون في أحد شوارع بغداد ـ وقد رأيته أنا بنفسي ـ وصار الشارع بعد ذلك يسمى بشارع السعدون، كما انه كان لهم تمثال آخر يعرف بتمثال (مود)(١١) وهو ضابط بريطاني تم على يديه فتح بغداد، وكان هذان التمثالان موجودين في بغداد إلى حين خروجنا من العراق ولا أعلم بعده هل بقيا موجودين أم هدموهما وأزالوهما عن الوجود؟

الخروج بتكتم وترقب

نعم، أكرهت على الخروج من وطني ومسقط رأسي العراق، فخرجت خائفاً أترقب، إذ كان البعثيون العفالقة غير مأمونين على النفس والمال والعرض، ففي كل لحظة كان احتمال الغدر والاعتداء والقبض والاغتيال موجوداً وغير منتف، كما كانوا قد ألقوا القبض بغدر على أخي الشهيد آية الله السيد حسن(رحمه الله)(١٢) من

١١ـ الجنرال (ستانلي مود) قائد الجيش البريطاني الذي احتل العراق وتحديداً بغداد، وذلك في تاريخ ١١/آذار/ ١٩١٧م الموافق ١٣٣٥هـ، صاحب مقولة: إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل بمنزلة محررين، انظر كتاب (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م).

١٢ـ آية الله السيد حسن بن السيد مهدي الشيرازي، ينحدر من أسرة مشهورة بالعلم والفضيلة والتقوى ومكافحة الاستعمار. وُلد في مدينة النجف عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م). درس السطوح العليا على يد العلماء الكبار أمثال والده آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي وآية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني وآية الله العظمى الشيخ محمد رضا الاصفهاني. اشتهر في الأوساط العلمية بالعلم والفقاهة والذوق الأدبي والعمل الدؤوب. كان من طليعة المحاربين للحكومات الجائرة التي تعاقبت على العراق بفكره وقلمه ولسانه، لذا تعرَّض للاعتقال والتعذيب. ترك العراق مهاجراً إلى لبنان وسوريا عام ١٣٩٠هـ واستمر في نشاطه السياسي وتعريف ظلامة الشعب العراقي للعالم. كذلك استمر في نشاطه العلمي في أرض المهجر، فأسس المدارس والمراكز والحسينيات، وأسس الحوزة العلمية الزينبية في سوريا عام ١٣٩٣هـ بتوجيه من أخيه الإمام الراحل (قدس سره) وكان يدرِّس فيها بحث خارج الفقه والأصول، وأسس مكتب جماعة العلماء في لبنان عام ١٣٩٧هـ. اغتيل برصاصات عملاء نظام البعث العراقي في لبنان عام ١٤٠٠هـ. وخلّف آثاراً مطبوعة ومخطوطة منها:

قبل، وذكرت قصة غدرهم به وسجنهم له ثم اغتياله واستشهاده في كراس مستقل(١٣).

وكيف كان، فإنه كان لابد لي من الخروج، كما انه كان لابدّ لي من التكتم أيضاً، مخافة الوقوع في شبكة الاستخبارات التي كانت لي بالمرصاد، ولذلك أردت من بعض الأصدقاء الأوفياء أن يستأجر لي وبتكتم شديد سيارة من بغداد، ذهب الصديق الوفي إلى بغداد واستأجر سيارة واتفق مع سائقها بأن يأتي معه إلى كربلاء المقدسة لينقل من هناك مسافرين ينتظرونه إلى حيث يريدون، ولم يبين له تفاصيل السفر ومقصده وهدفه، كما لم يبين له تفاصيل المسافرين ومقاصدهم وأهدافهم.

وما لبث أن جاء صديقنا بالسيارة إلى كربلاء المقدسة، وكان سائق السيارة لا يعرفني كما انه كان لا يعرف صديقي الذي استأجر منه السيارة أيضاً، وقد أوقفنا السيارة في حي المخيم عند زقاق كان ينتهي إلى دار الشيخ محمد الخطيب (رحمه الله) وقلت له: انتظرنا هناك.

وإنما انتخبت هذا المكان الذي كان بعيداً تقريباً عن منزلنا تكتماً على سفرنا وإخفاءً له، حيث لم يكن يظهر علينا إرادة السفر من هناك لأحد إطلاقاً.

استخلاف ووداع

ثم إنا لما أردنا الخروج من المنزل، أبقينا الوالدة(١٤) في البيت، وذلك باقتراح ورضا منها (رحمها الله) وللمساعدة على إخفاء أمر خروجنا عن السلطات العراقية، وقد بقي معها أخي آية الله السيد مجتبى(١٥)، فخرجنا بعد صلاة المغرب والعشاء مودعين الوالدة والأخ بدموع حارة، وقلوب متصدعة، واتجهنا نحو تلك

موسوعة الكلمة في ٢٥ مجلداً تتضمن كلمة الله، وكلمة الإسلام، وكلمة الرسول الأعظم، وكلمة الإمام المهدي، كما خلف خواطري عن القرآن في ثلاثة مجلدات والاقتصاد الإسلامي ودواوين شعرية، والعمل الأدبي، والأدب الموجه، والشعائر الحسينية، وغيرها: للتفصيل راجع كتاب (حضارة في رجل) للسيد عبد الله الهاشمي، وكتاب (أسرة المجدد الشيرازي) لنور الدين الشاهرودي، و (الراحل الحاضر) لمؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام.

١٣ـ طبع الكتاب تحت عنوان: (أخي الشهيد) في لبنان والكويت، كما ترجم إلى اللغة الفارسية وطبع في إيران عام ١٤٢٢هـ.

١٤ـ هي العلوية السيدة (حليمة بنت السيد عبد الصاحب بن آغا بزرك)(١٣٢٣ ـ ١٣٩٦ هـ) توفيت رحمها الله في الكويت ودفنت في كربلاء المقدسة بجوار زوجها آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) في الصحن الحسيني الشريف.

١٥ـ هو آية الله السيد مجتبى الحسيني الشيرازي، عالم فاضل، صاحب خلق رفيع وروح سامية، ذو ورع وتقوى مشهود له فيها، له مؤلفات عديدة مطبوعة ومخطوطة، منها: اجتماعيات الإسلام، هذا رسول الله(صلى الله عليه وآله)، حضارة بريئة، الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفلسفة تعدد زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سلسلة أعلام الشيعة و...

السيارة التي كانت بانتظارنا وركبناها ولم يكن السائق يعرفنا فقد كنت أنا مع أخي آية الله السيد صادق(١٦) وشقيقتي وعائلتي، فسارت بنا السيارة من ذلك المكان متجهة نحو بغداد.

هذا وقد ودعنا الروضتين المباركتين، روضة أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) وروضة بطل العلقمي أبي الفضل العباس (عليه السلام) بزفير وأنين، وبكاء وعويل، وألقينا بنظراتنا الأخيرة على ضريحيهما النوارنيين، وكان الوداع صعباً وشاقاً جداً حيث شبحت عيوننا نحو روضتيهما، ورنت قلوبنا باتجاه مرقديهما، ونحن نبتعد عن كربلاء المقدسة.

وقد قلنا للسائق: أن يسير بنا سيراً حثيثاً، وأن يواصل السير ليلاً ونهاراً، حتى نصل بعون الله تعالى إلى سورية، وذلك لكي لايصيب الأطفال والنساء برداً ولا نصباً، فقد كان الطريق طويلاً والفصل شتاءً بارداً وكذلك فعل السائق، وواصل سيره، حتى وصلنا إلى الحدود المفتعلة بين البلدين العراق وسوريا.

الحدود الجغرافية المبتدعة ومشكلاتها

ثم إنا لما وصلنا الحدود العراقية السورية طالبتنا شرطة الحدود وبحسب القوانين الغربية الكابتة بإبراز الجوازات وتأشيرات الخروج والدخول، فعرضناها عليهم، فاشكلوا في جواز وتأشيرة خروج أخي آية الله السيد صادق، ثم أوقفوه ونقلوه إلى السجن عندهم، فكان الأمر دائراً بين البقاء معه، أو أن نستمر في السفر، وبما أن بقائي معه لم يكن مؤثراً في خلاصه، بل لعله كان يوجب معرفة الاستخبارات العراقية بنا، فيستردوننا معاً ويسجنوننا ويعذبوننا، كما كان عليه دأبهم سابقاً، وهو شأنهم الآن أيضاً في سجن كل إنسان عالم ومتدين وتعذيبه والتنكيل به، بالاضافة إلى أنه ربما كانوا يقتلوننا كما كانت هي عادتهم فيما مر، وطبيعتهم في هذا اليوم أيضاً، فقد قتلوا فيما مضى خطيب العراق الحسيني الشهير الشيخ عبد الزهراء الكعبي(رحمه الله)(١٧) قارئ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، وكثيراً من أمثاله وأترابه، كما وقد قتلوا اليوم واغتالوا

١٦ـ هو آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، ولد عام ١٣٦٠هـ في كربلاء المقدسة، وتلقى العلوم الدينية على يد كبار العلماء والمراجع، وقد عرفه الفقهاء العظام بالفقاهة المتقنة والورع والتقوى، استلم المرجعية بعد أخيه الإمام الراحل (قدس سره) له أكثر من خمسين مؤلفاً من أهمها شرح العروة الوثقى وبيان الأصول قاعدة لا ضرر، مضافاً إلى كتب حوزوية وثقافية واعتقادية أخرى.

١٧ـ الشيخ عبد الزهراء الكعبي ينتمي إلى أسرة كريمة عُرفت بالفضل والشرف، ينتهي نسبها إلى قبيلة بني كعب المنتهية إلى كعب بن لؤي بن غالب استوطنت كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري، ولد في مدينة كربلاء عام ١٣٢٧هـ، والتي صادفت يوم ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وانتهل العلوم والمعارف الإسلامية من معين مدارس كربلاء الدينية. درس عند الشيخ الرمّاحي والشيخ محمد الخطيب والشيخ جعفر الرشتي والشيخ الواعظ. بلغ مكانة عالية في الخطابة الحسينية وكان سلس البيان شريف النفس واسع الصدر يتّصف بالكرم والأخلاق النبيلة. اشتهر في قراءته لمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء. اغتيل بالسمّ عام ١٣٩٤هـ المصادف يوم شهادة الزهراء (عليها السلام)، ومن مؤلفاته: «قتيل العبرة».

جماعة من العلماء الأعلام كسماحة الشيخ البروجردي، وسماحة الشيخ الغروي، وسماحة السيد بحر العلوم، وسماحة السيد الصدر الأول والثاني (قدس الله أسرارهم)، وكثيراً من أضرابهم، وذلك في قصص مشهورة وبشكل مسرحيات مكشوفة ومعروفة.

مضافاً إلى أنه كان ينبغي لنا أن نذهب لنتصل ببعض الأصدقاء لكي يعملوا لخلاص الأخ من المشكلة.

العزم على مواصلة السفر

أجل، لقد واصلنا السفر، بعد ما أصرّ أخي آية الله السيد صادق على ذلك، وقد تضرعت إلى الله تعالى وتوسلت بأوليائه محمد وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن يشفعوا لنا في خلاص أخي آية الله السيد صادق، ثم استطعت أن أرسل خبراً إلى كربلاء المقدسة، إلى جناب السيد سعيد الثابت، وأطلعته على أن أخي مسجون في مدينة الرطبة الحدودية، وكان المرحوم السيد سعيد الثابت رجلاً ذا وجاهة عريضة، ومكانة اجتماعية كبيرة جداً، وقد رشّحته الحكومة ذات مرة للمجلس العراقي لمكانته ووجاهته.

ولما عرف السيد سعيد بالأمر ركب السيارة وجاء إلى الناحية الحدودية: الرطبة، متحملاً أعباء تلك السفرة الطويلة، وعناء ذلك الطريق الطويل، وحيث كانت له معرفة سابقة بمدير الناحية في تلك المنطقة ذهب إليه مباشرة، فاستقبله مدير الناحية واحترمه احتراماً كبيراً وطلب منه أن ينزل ضيفاً عنده، وبعد التعارف والتكارم اقترح السيد سعيد على مدير الناحية أن يزور معه معالم المنطقة ومناظرها، فلبى المدير طلب ضيفه الكريم، وزار معه معالم المنطقة وآثارها، ومن جملة تلك المعالم التي اصطحب المدير ضيفه الكريم إلى زيارتها كان هو سجن الناحية، الذي كان هو الهدف الأول والأخير لزيارة السيد سعيد من الناحية.

وفي السجن لما رأى السيد سعيد، آية الله السيد صادق تقدم إليه وحياه بحرارة فائقة وأخذ يقبّل يده بتواضع كبير، فتحير مدير الناحية من هذا العمل والتواضع الكبير تجاه هذا السجين وسأله بتعجب: من هذا؟

فأجابه السيد سعيد: إن هذا أحد العلماء الكبار، والشخصيات الاجتماعية البارزة، ثم أخذ يصفه بأوصاف جليلة وعظيمة مما اضطر مدير الناحية على إثرها أن يأمر بإطلاق سراحه، وذلك بعد أن بقي في السجن مدة ليلتين.

وإني أحتمل قوياً بأن السيد سعيد (رحمه الله) كان أيضاً قد أرشى صديقه مدير الناحية كما كان ذلك شأنه في إصلاح الأمور وتمشيتها.

ومن المعلوم أن إعطاء الرشوة في هذه الأمور وأمثالها جائزة للمعطي، وحرام على الآخذ، وأما الرواية القائلة: «الراشي والمرتشي كلاهما في النار» والتي تقول: «لعن الله الراشي والمرتشي ومن بينهما يمشي»(١٨) ففي باب القضاء أو فيما إذا أريد إبطال حق، أو إحياء باطل كما هي العادة عند الراشين والمرتشين، أما أنه يعطي الإنسان المال لأجل إنقاذ تجارته أو خلاص سجينه البريء، أو شيء من هذا القبيل، فإن إعطاء المال بالنسبة إليه جائز وحلال، وبالنسبة للآخذ رشوة وحرام.

١٨ـ مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٥٥ ب٨ ح٢١٥٦٥.

الجمارك مصيدة ومكيدة

ثم إنا واصلنا السفر حتى وصلنا إلى مركز آخر للشرطة الحدودية وفي مكان آخر لعله كان الجمرك فسألني أحد الشرطة هناك عما معي من المال والأثاث شيء، فقلت له: ليس عندي من الأثاث، وأما المال فعندي عشرة دنانير فقط، فلما أريته المال أخذ الدنانير العشرة كلها، وقال: إن هذا من حيث القانون ممنوع ولا يسمح بأن يؤخذ إلى سوريا.

والظاهر: إنه كان كذباً ولم يكن هناك هكذا قانون، وإنما كان يريد اختلاسها لنفسه، كما انه لم يكن لي علاج للمشكلة غير إني قلت له: فكيف إذن نذهب إلى سوريا مع هذه العائلة وهؤلاء الأطفال؟

فلم يكن من جوابه إلا قال: ما أفعل والقانون يحكم بهذا؟

نعم، إن هذا وأمثاله كان متداولاً لدى البعثيين العفالقة، فان كل شرطي وموظف في حكومتهم فهو دولة مستقلة، له أن يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وكيف كان: فإني كنت مطمئناً بأن في خروجي من الأراضي العراقية ودخولي الأراضي السورية رغم كل الأتعاب التي لاقيتها والأموال التي اختلسوها مني، راحة وخلاصاً من العفالقة البعثيين، الذي عاثوا فساداً في الأرض، وأهلكوا الحرث والنسل، ونشروا الرعب والخوف في قلوب الناس، مضافاً إلى انه كان لي أصدقاء في سوريا وكان بإمكاني الاقتراض منهم.

من قصص الطريق

ثم أن من القصص التي اتفقت لنا في طريقنا إلى سوريا: هو انا وصلنا إلى مقهى في الطريق وكان الوقت ليلاً، والهواء بارداً جداً، وكان صاحب المقهى يتهيّأ لإغلاق مقهاه، فقلت له: يا حضرة الأخ إن الهواء كما تعلم بارد جداً والوقت ليل أيضاً، ومعي هؤلاء النسوة والأطفال، فلو سمحت لنا بالبقاء في المقهى، وأنا أبذل لك مبلغاً من المال في قبال ذلك، فأبى من القبول ولم يأذن لنا في البقاء داخل المقهى وقال: أخرجوا، وابقوا في الصحراء فإني أريد أن أغلق المقهى.

فقلت له: هل ترضى يا أخي أن نبيت مع النسوة والأطفال في الصحراء الباردة؟

فقال: ليس عليّ أين تبيتون، ثم أخرجنا وأغلق المقهى وانصرف، وكان هذا التصرف من صاحب المقهى معنا على خلاف القواعد والآداب الإسلامية، وعلى خلاف الكرم العربي، فلم أعلم هل كان هذا التعامل من صاحب المقهى معنا بتوصية من العفالقة البعثيين، أو كان أمراً طبيعياً لبخل في نفس صاحب المقهى، وهناك في الصحراء الباردة يحس الإنسان بالذين لا مأوى لهم، كيف يعيشون بشدة، وكيف يقاسون مرارة الحياة وضرّها؟ وكيف يعانون من برد الشتاء، ومن حرّ الصيف؟

في الأراضي السورية

وكيف كان: فانه بعد اللتيا واللتي، وبعد الجمارك والحدود وبعد السلب والنهب، دخلنا الأراضي السورية، عندها أحسسنا بالراحة، ولمسنا الأمن والدعة، وذقنا حلاوة الاطمئنان والسعة، فشكرنا الله تعالى على هذه النعمة، وقلنا: ((الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور))(١٩).

نعم، تنفسنا الصعداء، وشكرنا الله تعالى على سلامتنا، وزوال خوفنا، إذ ما دمنا في الأراضي العراقية وحدودها المبتدعة، كنا نتوقع كل لحظة إلقاء القبض علينا، وإرجاعنا إلى بغداد، وإيداعنا في سجونها الرهيبة، أو اغتيالنا عبر جهاز الاستخبارات، كما اغتالوا فيما بعد أخانا الشهيد السيد حسن(رحمه الله) وكثيراً من العلماء والأعلام(٢٠)، وغدروا بهم وبحياتهم.

هذا كان خبر ما عندنا، من حين خروجنا من العراق ودخولنا الأراضي السورية، وأما خبر ما بعدنا والذين خلّفناهم في العراق، وعلى الخصوص في كربلاء المقدسة، فانهم فوجئوا بعدم حضوري إلى الجماعة لصلاة الصبح، ثم تعجبوا بعد ما افتقدوني في جماعة الظهر أيضاً، وازدادوا تعجبهم عندما لم أحضر لصلاتي المغرب والعشاء، وفسّر بعض المؤمنين غيابي عن صلاة الجماعة، بأنه استنكار على الأعمال الإرهابية، والتسفير العدواني الذي كان ينوي تنفيذه العفالقة البعثيون ضد الشعب المسلم، وفسّر آخرون فقدي باللجوء إلى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) والنزول عنده في النجف الأشرف، للأمن من مزاحمة العفالقة والابتعاد عن خطرهم، وغير ذلك مما وصلتنا من الأنباء فيما بعد، وسمعنا من الأخبار التي جرت بعدنا بالتفصيل، ونحن في سوريا دعونا الله تعالى عند السيدة زينب(عليها السلام) والسيدة رقية (عليها السلام) بالفرج عن جميع المؤمنين والمؤمنات، وبإنقاذ العراق من الزمرة الطاغية.

قصة بالمناسبة

هذه كانت نبذة مختصرة حول قصة خروجنا من العراق، وكيفية مغادرتنا لها، وبعض الإشارة إلى أسباب ذلك، وهناك قصص أخرى ولقطات مقتطفة غيرها، ترتبط بالوقت الذي كنا نعيش فيه في العراق، وننعم فيه بجوار أبي الأحرار الإمام الحسين(عليه السلام) ومن قبلها في جوار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبين ذلك كنا متنعمين بجوار الامامين العسكريين (عليهما السلام) في سامراء المشرفة، وهذه القصة التي أذكرها هنا إنما هي من باب الكلام يجر الكلام، فقد تداعى لي عندما ذكرت مصادرة أموالي عند الجمارك العراقية وبقيت بلا مال، أن اذكر القضية التي مرّت بي من نفاد مالي وأنا في طريقي من سامراء المشرفة إلى كربلاء المقدسة.

١٩ـ سورة فاطر: ٣٤.

٢٠ـ كآية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر(رحمه الله)، والعلامة الحجة السيد مهدي الحكيم(رحمه الله).

نعم، لقد كنا نأتي من سامراء المشرفة إلى كربلاء المقدسة، وذات مرة نفد مالي عندما وصلت إلى مدينة الكاظمين (عليهما السلام)، ولم يبق لي شيء من النقود حتى أتمكن من أن أواصل سفري إلى كربلاء المقدسة.

وهنا انقطعت إلى الله تعالى وتوسلت برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في الشفاعة عند الله سبحانه بأن يسهّل الله عليّ سفري ولا أنقطع في الطريق، وما أن أتممت دعائي وتوسلي حتى مرّ بي شخص وكنت لا أعرفه، فسلّم عليّ وسألني قائلاً: هل إنكم ذاهبون إلى كربلاء المقدسة؟

أجبت عليه سلامه وقلت له: نعم.

قال وهو يقدم لي مجموعة من النقود الورقية: أرجو أن تصلوا إلى كربلاء المقدسة بسلامة وأن تعطوا هذا المال لفلان، وواصل كلامه بقوله: وأرجو عفوكم ومسامحتكم على مزاحمتي هذه لكم.

قلت له وبانشراح وانطلاق: كلا إنها ليست زحمة وإنما هي رحمة، ولكني أسألك أن تسمح لي في التصرف فيه حتى الوصول إلى كربلاء المقدسة، ثم أعطيها للشخص المذكور.

فقال وبكل بشاشة: مسموح لكم ذلك، ثم ودّعني وانصرف.

عندها شكرت الله سبحانه وتعالى على ما فرّج عليّ من همي، وأزاح عني مشكلتي، فإن الله قريب مجيب، ميسر ومفرج، وفي الحديث القدسي عن الله سبحانه قال جلت عظمته: «عبدي اذكرني في الرخاء أذكرك في الشدة»(٢١) أي: من كان يذكر الله سبحانه وتعالى عند الرخاء وتوفر النعمة، فلا يبطر بها، ولا يصرفها في معصية الله، يذكره الله عزوجل في الضيق والشدة فيخلصه منها، ويكشف عنه ما فيه من شدة وضيق وكرب ومشكلة.

البلاد الإسلامية والمآسي التي مرت بها

لقد توالت الحوادث المرة، والمآسي الصعبة والقاسية على البلاد الإسلامية بصورة عامة، وعلى العراق بصورة خاصة، وذلك في النصف الثاني والأخير من القرن العشرين، أي: في زمن اكتشاف الذهب الأسود، وظهور النفط في البلاد الإسلامية، فمن جهة أصبحت الأطماع الاستعمارية، الشرقية منها والغربية متوجهة نحوها، وبدأ التخطيط الدائم والمستمر من قبلهم للسيطرة عليها ونهبها، ومن جهة غفلة المسلمين عما يجري حولهم، وعدم الانتباه الكافي لها، مما جعل الشرق والغرب يتمادون في طغيانهم، وينهمكون في الحاق الضرر الأكثر بالمسلمين، وإيصال الخسائر الكبرى بثرواتهم وأموالهم، بل بأنفسهم وأعراضهم، مما سبب ذلك وقوع الحوادث المرة، وحدوث المآسي القاسية والصعبة، وتظافر الويلات وتوالي المشكلات على البلاد الإسلامية الآمنة، وعلى العراق الشامخ الأبي، حتى انه صار لكل حادثة من تلك الحوادث، ومأساة من تلك المآسي، قصص مؤلمة، وحكايات محزنة لو أردنا أن نجمع قصص كل واحدة من تلك المآسي والحوادث لاحتاج كل حادثة ومأساة إلى كتاب مفرد، ومجلد خاص.

٢١ـ وفي وسائل الشيعة: ج٧ ص٤٢ ب٩ ح٨٦٦٩ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

ومن القصص والحكايات التي أذكرها لبعض تلك الحوادث والمآسي التي مرت بالعراق وبشعبها المسلم، هي: قصة تواتر الانقلابات العسكرية على العراق، وتغطية مفاسدها على كل الأمور، وانتشار شرها وشررها في كل مكان، بحيث أصبح كل من النهرين الكبيرين: دجلة والفرات ممتزجاً بدماء الأحرار ودموع اليتامى والثواكل، وقام في كل شبر من أرض العراق مجزرة للرجال الأبرار ومأتم للنساء الأرامل والأطفال واليتامى.

نموذج من الحوادث المُرّة

نعم، لقد زرت بصحبة جماعة من العلماء الاعلام، كآية الله الشيخ جعفر الرشتي(٢٢)، والعلامة السيد محمد صادق القزويني(٢٣) وآخرين، فضيلة الشيخ محمد رضا الشبيبي(٢٤) في بغداد، وذلك في زمان رئاسة عبد

٢٢ـ آية الله الشيخ جعفر الرشتي، ولد في مدينة رشت الإيرانية عام (١٣١٠هـ ـ ١٨٩٢م)، هاجر إلى العتبات المقدسة في العراق للانتهال من معين مدارسها الدينية، واستوطن مدينة كربلاء المقدسة، ودرس عند أساتذة الحوزة العلمية آنذاك كآية الله العظمى السيد حسين القميّ وآية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي. استقل في البحث والدرس والتدقيق والتحقيق لمدة نصف قرن، وكان بارعاً في اللغة العربية وقواعدها، حتى عدّه البعض أستاذ الفقهاء والمجتهدين في علوم اللغة العربية، تخرج على يديه العديد من الفقهاء والمجتهدين، وافاه الأجل في كربلاء عام (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

٢٣ـ العلاّمة الحجة آية الله السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا بن السيد هاشم الموسوي القزويني. من مواليد عام ١٩٠٠م ينتمي إلى بيت من بيوت العلم والشرف والسيادة، استوطنت عائلته العراق في القرن الثاني عشر الهجري، عاصر في بدايات شبابه ثورة العشرين في العراق التي انطلقت من مدينة كربلاء المقدسة. نمى وترعرع في أحضان العلم والشرف في بيتٍ عُرف عنه أن جُلّ رجالهم علماء، أمَّ الناس في الصلاة في مساجد معروفة في البلد كان آخرها الروضة الحسينية الشريفة، وكان يمارس تدريس العلوم الدينية في عدّة معاهد ومدارس في كربلاء المقدّسة، منها: المدرسة الهندية ومدرسة البقعة ومدرسة العلاّمة المجاهد. له مساهمات ثقافية كثيرة، فقد كتب الكثير من النشرات والمجلاّت الإسلامية وألّف بعض الكتب منها: (الحسين حيّ خالد)، (تفسير سورة النور)، (رسالة في الحجاب). وقد ساهم مع رجال أسرته في هذه الثورة ضدّ الاستعمار البريطاني، فكان كما عبّر عنه حسن العلوي: «آخر شاهد على ثورة العشرين في العراق». اعتقلته السلطات العفلقيّة أوائل الشهر الرابع من عام ١٩٨٠م مع ثلة من العلماء ورجال الفكر والعلم وعدة من أفراد أسرته وأودعتهم زنزاناتها الرهيبة، وعند اعتقاله قد شارف على الثمانين من عمره الشريف، ولازال مصيره مجهولاً إلى الآن من قبل السلطات المستبدة في العراق، وقد كتبت عنه منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في حينها وذكرت عنه: «أنه أكبر سجين سياسي في العالم».

٢٤ـ الشيخ محمد رضا جواد الشبيبي من عشيرة بني أسد ولد عام ١٣٠٧هـ ١٨٨٩م في النجف الاشرف، شارك في ثورة العشرين وكان مرابطاً مع بعض شيوخ العشائر في الفرات الأوسط وأحد الأعضاء البارزين في حزب الاستقلال الذي ترأسه السيد محمد الصدر، تقلد وزارة المعارف في خمس دورات وأصبح عضواً لمجلس

السلام عارف(٢٥)، فاستقبلنا فضيلة الشيخ الشبيبي خير استقبال، ورحب بنا أحسن ترحيب، ثم قص علينا بعض القصص التي اتفقت له مع رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد(٢٦)، إذ كان فضيلة الشيخ رجلاً سياسياً ودينياً، وكان في يوم من الأيام عضواً في المجلس العراقي، وكان رئيس المجمع العلمي في العراق أيضاً.

ثم قص علينا القصة التالية:

قال: قبل يوم سمعت على باب دارنا همهمة وضجة، وعرفت أن هناك على الباب تجمعاً وازدحاماً، فقلت: ما الخبر، وما هذه الهمهمة والضجة، وهذا التجمع والازدحام؟

فقالوا: إن جماعة على الباب يدعون انهم من الحرس القومي، جاءوا وهم يريدون إلقاء القبض على ابنتك الكبيرة وسوقها إلى المحكمة، زاعمين إنها من المتآمرين على النظام الجديد.

النواب في ثمان دورات، توفي في بغداد عام (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

٢٥- عبد السلام محمد عارف، من مواليد عام (١٣٣٩هـ - ١٩٢١م) في مدينة الرمادي، كان من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، اشترك مع عبد الكريم قاسم عام (١٣٧٧هـ ١٩٥٨م) في الإطاحة بالنظام الملكي، وبعد اختلافه مع قاسم أقصي من مناصبه، عيّن سفيراً في العاصمة الألمانية، ألقي القبض عليه وأودع السجن وصدر حكم الإعدام عليه وعفي عنه بعد أن قضى أكثر من سنتين في السجن. أصبح رئيساً للجمهورية بعد الإطاحة بنظام قاسم في (١٤ رمضان ١٣٨٢هـ - ٨ شباط عام ١٩٦٣م) ومنح نفسه رتبة مشير. اتّسم حكمه: بالكبت والإرهاب والعنصرية وأهتم بتعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة في إسناد المناصب بغض النظر عن المؤهلات والقابليات والكفاءات. اشتهر بالتعصب المذهبي، يقول الدكتور سعيد السامرائي عن عبد السلام ما نصه: كان هذا الرجل لا يحتمل رؤية الشيعي، حتى أنه قطع زيارته لشركة التأمين الوطنية يوماً لأنه وجد أن مدراءها ورؤساء أقسامها وشعبها هم إما من الشيعة أو المسيحيين والذين تبوءوا هذه المناصب بكفاءتهم في هذه المهنة التي لا تحتمل وضع غير الكفء فيها. إنقلب على رفاقه البعثيين في عام ١٩٦٣م وأقصاهم من وزارته وأصدر كتاباً ضدّهم سمّاه المنحرفون، وصم البعثيين بكلّ قبيح، من قبيل الشذوذ الجنسي والسرقة وما إلى ذلك. قتل مع عددٍ من الوزراء في عام (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م) إثر سقوط طائرته قرب البصرة، ويرى البعض إنّ موته كان عملية مدبّرة نتيجة وضع قنبلة في الطائرة.

٢٦- نوري سعيد صالح السعيد من مواليد بغداد عام (١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م)، أصبح رئيساً للوزراء بين عام (١٣٤٩/١٣٧٧هـ -١٩٣٠/١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع في خمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية في إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية في دورتين. أحد عملاء بريطانيا في العالم العربي، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين، وكانت سياسته مبنية على نظرية (خذ وطالب) وعلى التحالف مع الإنجليز وجعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية للاستعمار، وجعل العراق سوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية ومصدراً لمواده الخام. أسس في الخمسينيات حزب الاتحاد الدستوري لدعم وزارته، وكان حزبه وحزب صالح جبر (الأمة الاشتراكي) لا يختلفان من الناحية التنظيمية والفكرية عن بعضهما، فالاثنان موالیان للإنجليز وأغلب أعضائهما من القطاع الموالي للإنجليز، وكان يتنافسان أحياناً ويختلفان في بعض المسائل الداخلية. انتحر بعد أن أطلق النار على نفسه عام (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) وقيل قتل، من مؤلفاته: استقلال العرب ووحدتهم.

قلت بتعجب: إنها من المتآمرين؟

قالوا: نعم.

قلت بتعجب أشد: يعني إنها متآمرة عليكم؟

قالوا: نعم.

وكانت تهمة التآمر في ذلك اليوم، وفي اصطلاح الطغمة الحاكمة في العراق هي: لغة الاتهام السياسي الرهيب، الذي كانوا يتهمون به الأبرياء، ويأخذون المتهم إلى حيث يريدون، من التعذيب الوحشي، وهتك العرض، وهدر الكرامة، والغدر والقتل، والإعدام والشنق.

فقلت: مكانكم حتى آتيكم بها.

ثم دخلت سريعاً غرفة الهاتف واتصلت فوراً بعبد السلام عارف، وأخبرته بالخبر، وانتقدته على الوضع المأساوي الذي افتعله الحرس القومي في العراق، وبصورة خاصة في بغداد، مما هو يخالف الأمن والاستقرار، ويتنافى مع كرامة العراقيين وشرفهم، ويهدد حكومته بالخطر والزوال.

فقال: لا شيء عليك داهنهم حتى تصل إليك شرطة النجدة.

فما مرت إلا دقائق حتى وصلت مفرزة من شرطة النجدة، فوقعوا في المتجمعين على باب الدار ضرباً وأسراً، وفرقوهم من الباب، بتشريد بعض والقبض على بعض.

ثم قال فضيلة الشيخ الشبيبي بعد ذلك: وهكذا أراحنا الله تعالى بفضله من شرهم.

الحوادث تستمر وتتواصل

أجل، لقد استطاع فضيلة الشيخ الشبيبي أن يتخلص من هذا العار، ويستريح من شر هؤلاء الشرذمة الأشرار، لمكانته المرموقة في الحكومة، ووجاهته الرسمية عند عبد السلام عارف، لكن من للمواطنين العاديين؟ ومن للشعب المسكين؟ كي ينقذهم من شرارة الأشرار: الحرس القومي وأمثاله، فلقد تكررت القصة التي مرت بالشيخ على غيره من المواطنين تكراراً فاحشاً، ولم يسلم من أيدي أولئك الأشرار إلا القليل، فكم داسوا عفاف المحصنات؟ وكم تعدّوا على شرف الشباب؟ وكم أفسدوا وأهلكوا، وأبادوا ودمّروا؟

كل ذلك في غياب من الأخيار والأبرار، والاستشارية والتعددية، وقوانين القرآن والإسلام، وتظافر وتسلط من الطغاة والأشرار، والدكتاتورية والاستبداد، والقوانين الشرقية والغربية.

نقاط تفتيش

لقد اتفقت لي أيام ما كنت في العراق عدة زيارات مع جماعة من العلماء الأعلام والأصدقاء الأوفياء إلى سامراء المشرفة وغيرها لزيارة العتبات المقدسة، وروضات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) المباركة، واتفق أن كان بعضها في زمان عبد الكريم قاسم، الذي قاد أول انقلاب عسكري في العراق، وأودى بالنظام الملكي فيها، وأسس الجمهورية العراقية، وذلك تحت شعارات برّاقة، مثل شعار: الحرية، والديمقراطية وما أشبه ذلك، ولكن كلها كانت مجردة عن الحقيقة، وكان الواقع الخارجي على خلافها، حيث كان الظلم والكبت، والاستبداد

والاضطهاد، الظاهرة البارزة في النظام الجديد والجمهورية الحديثة، وما اتفق لي من السفر إلى سامراء المشرفة لزيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) من الأدلة على ذلك.

نعم لقد سافرت بصحبة جماعة من العلماء الأتقياء، والأصدقاء الأوفياء من كربلاء المقدسة إلى سامراء المشرفة لزيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) فأخذنا مقاعدنا في الحافلة، وأخذ السائق يسير بنا نحو الهدف المنشود، لكن ما أن خرجنا من كربلاء المقدسة، ولم تسر بنا الحافلة إلا قليلاً حتى توقفت عند مفرزة شرطة انضباط كانت في الطريق، وذلك بإشارة من شرطي انضباط كان قد سد الطريق علينا وعلى كل حافلة تمر من هناك، فلما توقفت الحافلة بنا، صعد شرطي في الحافلة، وبدأ يفتشنا ويفتش ما عندنا من مستمسكات، ثم نزل وسارت بنا الحافلة، لكنها لم تسر إلا قليلاً حتى توقفت للمرة الثانية عند مفرزة شرطة انضباط أخرى، واذا بشرطي انضباط آخر يصعد إلى حافلتنا ليفتشنا ويفتش ما عندنا من جديد، ثم نزل وسارت بنا الحافلة قليلاً، وإذا بها تتوقف للمرة الثالثة عند مفرزة شرطة انضباط ثالثة، ويصعد شرطي ثالث ويفتشنا ويفتش ما عندنا ثم ينزل، وتسير بنا الحافلة قليلاً ثم تتوقف للمرة الرابعة، وللمرة الخامسة، وهكذا إلى عشرين مرة، حتى وصلنا إلى سامراء المشرفة، وفي كل مرة من المرات عندما كانت الحافلة تقف بنا للتفتيش، كنت أتوجه إلى من معي وأقول لهم: هذه من مصاديق الحرية التي جاء بها عبد الكريم قاسم هدية إلى الشعب العراقي المسلم.

هذا نموذج من النماذج الخارجية التي كانت تكذب عملاً كل الشعارات البراقة إلى هتف بها عبد الكريم قاسم من حرية وديمقراطية وغير ذلك.

إذ هل من الحرية أن يفتش شرطة الانضباط كل حافلة ومركبة في خلال الطريق عشرين مرة؟ وكم في هذا من مصادرة للحريات، وإتلاف لوقت المسافرين، وتضييعاً لحقهم، واستخفافاً بهم؟.

فرق تسد: منطق الشيطان

ومن الحوادث المرة التي مرت بها البلاد الإسلامية وخاصة العراق هو زرع وإيجاد الخلافات بين الناس، وبث الفرقة والشتات بين أبناء الشعب الواحد والمجتمع الواحد، وذلك من باب القاعدة المعروفة التي هي على خلاف القرآن القائلة: «فرّق تسد».

ومن تلك الحوادث التي أججوا نارها، وزادوا في لهيبها، مسألة الشهادة الثالثة من الآذان، فان الشيعة الإمامية أجمعت على جوازها بين من يقول بجزئيتها، ومن يقول باستحبابها، ومن يقول بوجوبها، ولم يكن فيهم من يقول بحرمتها بعد أن أذّن بها أبوذر وسلمان المحمدي بعد يوم الغدير، وأقرّهما على ذلك الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولم ينكرها عليهما،

والظاهر كما ذكرته في بعض الكتب(٢٧) أن في يوم الغدير بعد ما نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً أميراً للمؤمنين وخلفية من بعده، نزل جبرئيل من عند الله وأمر بإضافة الشهادة الثالثة في الأذان.

٢٧ـ انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج٢، و (باقة عطرة في أحوال خاتم المرسلين) للإمام الراحل (قدس سره).

نعم كان من تلك الحوادث أن شخصاً أعلن عدم جوازها وقال بحرمتها، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وقالوا في هجائه نثراً كثيراً، وشعراً جماً، وقصائد طويلة وعريضة، ومما قيل فيه من القصائد والأشعار هو البيت التالي:

محى نقطة الباء عند الاذان لتشكره النقطة الرابعـــــة

ويقصد بنقطة الباء: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ هو المعني من نقطة الباء في ((بسم الله الرحمن الرحيم)) كما في الروايات الشريفة(٢٨).

ويقصد من النقطة الرابعة: لجنة الإغاثة، ومركز الإعانة، التي تبنتها جهة غربية تحت عنوان إعانة المعوزين وإغاثة الملهوفين من أبناء العراق، الذين طحنتهم دكتاتورية النظام العراقي، وأفقرتهم الأحكام الوضعية التي استوردها حكام العراق من الشرق والغرب، بدلاً عن أحكام القرآن وشرائع الإسلام التي تضمن للشعب الحرية والرفاه، والسعادة والهناء، والعلم والغنى.

وكانت النقطة الرابعة تعطي تذاكر مختومة بختم اللجنة للخبز، فكان يسلمها صاحبها للخبازين ويستلم منهم الخبز بالمجان.

وكان مضافاً إلى تذاكر الخبز المختومة بختم هذه اللجنة، تذاكر خبز مختومة بختم المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره)(٢٩)، وتذاكر خبز مختومة بختم المرجع الكبير السيد حسين القمي (قدس سره)(٣٠) حتى اشتهر الثلاثة بإعطاء تذاكر الخبز: مرجعان كبيران من مراجع الدين الشيعة، ولجنة إغاثة

٢٨ـ راجع مشارق أنوار اليقين: ص٢١، وينابيع المودة: ص٦٩، وفي طبعة أخرى: ج١ ص٢١٣ قال علي (عليه السلام): «أنا النقطة التي تحت الباء».

٢٩ـ هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ولد سنة (١٢٨٤هـ) في أصفهان، ورد النجف الأشرف أواخر القرن الثالث عشر وأقام في كربلاء مدة وبعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي رشح (رحمه الله) للزعامة الدينية، وبعد وفاة الشيخ أحمد كاشف الغطاء والشيخ الميرزا حسين النائيني تهيأت له (رحمه الله) المرجعية العامة. توفي (قدس سره) في ذي الحجة عام (١٣٦٥هـ) في الكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف ودفن في الصحن الغروي الشريف. أنظر معارف الرجال: ج١ ص٤٦ الرقم ٢١.

٣٠ـ هو السيد حسين بن السيد محمود بن محمد الطباطبائي القمي الحائري، من أجلاء العلماء ومشاهير المراجع الكرام، ولد في قم سنة ١٢٨٢ هـ، وقرأ المقدمات فيها ثم تشرف إلى العتبات المقدسة زائراً ومنها رجع إلى إيران فسكن طهران وواصل الدراسة وعاد إلى العراق بعد عودته من الحج، حضر على المجدد الكبير الشيرازي في سامراء، وعاد إلى طهران فاشتغل في العلوم العقلية على اساتذة العصر، وعاد إلى العراق فحضر أبحاث الميرزا الشيرازي (رحمه الله) عشر سنين، نشرت رسالته العملية في مشهد الإمام الرضا(عليه السلام) بعدما تصدى للتدريس والإمامة ونشر الأحكام فكانت له المكانة العظيمة في نفوس أهلها، تعرض (رحمه الله) للأذى والمضايقة من شاه إيران بالاضطهاد والعداء له ولباقي رجال الدين، فهاجر إلى العراق وعزم على الإقامة في كربلاء المقدسة وأقبل الناس إليه بعد وفاة السيد أبو الحسن (رحمه الله) ورشح للزعامة العامة فمال إليه الناس في العراق وإيران، ولكنه لم يمهله الأجل فمات في بغداد سنة ١٣٦٦ هـ ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف. أنظر: نقباء البشر: ج٢ ص٦٥٣.

غربية أشبه بالصليب الأحمر الدولي، وإني عندما كنت أراجع خبّازنا الحاج حسين (رحمه الله) في سوق الزينبية لشراء الخبز منه، كنت أرى عنده الأنواع الثلاثة من هذه التذاكر، فكان يجعلها ثلاث مجموعات ويبعث بها إلى الجهات الخاصة بكل منها ويستلم النقود في مقابلها.

أجل، إن محنة العراق ومأساة العراقيين في النصف الأخير من هذا القرن كانت كثيرة بحيث لو أردت إحصاءها لاحتجت إلى تأليف مجلدات ضخمة يضم كل مجلد منها ألف صفحة أو أكثر، مما يدل على أن الغرب والشرق إذا أخذوا بزمام القدرة كانت هذه نتائجها وآثارها السيئة، بينما لو اقتدر المؤمنون وأتباع الأنبياء الصادقون مشوا في الشعب بالعدل والقسط، وقادوه إلى ساحل الأمن والأمان، والرفاه والغنى والسعادة والهناء.

قصص من مزارات سوريا

مشهد رؤوس الشهداء

هناك في أرض سوريا، وهي من الأراضي التي قال القرآن الحكيم فيها: ((باركنا حوله))(٣١) عدة مزارات لأهل البيت (عليهم السلام):

منها: في دمشق كمزار السيدة رقية بنت الإمام الحسين (عليه السلام).

ومنها: في ضاحية دمشق كمزار السيدة زينب (عليها السلام).

ومنها: في حلب وضواحيها كمزار محسن السقط ابن الإمام الحسين (عليه السلام)، ومشهد النقطة.

ولهذه المزارات العظيمة، آثار كبيرة، وبركات كثيرة، اعترف بها المؤالف والمخالف، والداني والقاصي، والقصة التالية من مزار مشهد رؤوس الشهداء الواقع في دمشق في مقبرة الباب الصغير.

نقل لي أحد الأصدقاء عن سادن الروضة المباركة للسيدة زينب(عليها السلام) عن سادن روضة مشهد رؤوس الشهداء (عليهم السلام) في دمشق ويدعى: السيد رشيد، انه قال: احتاج مشهد رؤوس الشهداء إلى بعض الترميمات، فرأينا أحد المعمارين(٣٢) ليقوم بذلك، وكان هذا المعمار مسيحياً، فان في دمشق مسيحيين يقطنون إلى هذا اليوم، ولهم مهن مختلفة ومنهم كان هذا المعمار الذي يشرف على عمل البناء.

بدأ هذا المعمار عمله وأخذ في ترميم المشهد المقدس، وما أن استمر على عمله في بضعة أيام إلا وترك العمل، معلناً للسيد رشيد سادن المشهد بانه قد ترك العمل، وانه غير مستعد لتكميله، فتعجب السيد رشيد من ذلك وأصرّ عليه بان يرجع إلى عمله حتى يتمّه، ولا يتركه بغير إتمام.

فلم يستجب المعمار للسيد رشيد، وبقي مصراً على رفضه.

فقال له السيد رشيد: انك حسب معرفتي بك، إنسان وفي، تفي بما وعدت، وقد وعدتني أن تقوم بترميم

٣١- سورة الإسراء: ١.

٣٢- المعمار هو المشرف على البناء.

المشهد المقدس حسب الأجرة التي توافقنا عليها، فتركك العمل بلا إتمام خلاف الوفاء.

وهنا لما سمع المعمار المسيحي هذا الكلام من السيد رشيد قال: لقد أحرجتني إلى التصريح بالسبب الذي من أجله تركت العمل، واضطررت إلى عدم الوفاء بما توافقنا عليه وهو: أني أحسست يا سيد رشيد الخطر على ديني واعتقادي بالمسيحية من جراء عملي في مشهد الرؤوس.

قال السيد رشيد وبتعجب: وكيف أحسست بالخطر على دينك؟

قال: لقد كنت مشتغلاً بعملي، وفي الأثناء وقع نظري إلى السرداب الذي فيه الرؤوس، فأمعنت النظر إليها فرأيتها غضة طرية، والدم العبيط يفور منها، وكأنها فصلت عن أبدانها الساعة، مع العلم أنها قد فصلت عن أبدانها قبل أكثر من ألف عام كما هو المعروف في التاريخ.

ثم أضاف قائلاً: وبقاء الرؤوس طرية لم يأكلها التراب ولم يغير محاسنها طول الزمان والمدة مما يدل على أن هؤلاء الشهداء لهم مقام كبير عند الله وانهم على حق، وان ما يقوله المسلمون هو الصحيح، وان القرآن والإسلام ونبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) هو الحق، وهو يتنافى مع اعتقادي بالمسيحية، وان الدين المسيحي والمسيح هو الحق، وقد زلزلتني هذه القصة في عقيدتي بالمسيحية، ولذلك عزمت على ترك العمل، والتحقيق حول الإسلام، حتى أتأكد من صحة دين الإسلام ونسخ دين المسيح، وأرى بعد ذلك رأيي في اختيار الإسلام أو البقاء على المسيحية.

قال له السيد رشيد عند ذلك وبكل وجوده: إذن: فالذي تحسه خطراً على دينك قد حصل لك على كل حال، والتحقيق حول الإسلام وان كان بحاجة إلى بذل جهد ووقت، لكنه لا يتنافى مع مواصلة عملك وإكمال الترميم الذي توافقنا عليه معاً لأن التحقيق شيء والترميم شيء آخر لا يرتبطان بعضهما ببعض، وعليه: فالمطلوب لك التحقيق والترميم معاً.

قال المعمار بعد كل ما جرى من الكلام وإصرار السيد على الاستمرار: إني قد عزمت على ترك العمل، ولست مستعداً بعد ذلك لإكماله وإتمامه.

عندها أعطاه السيد رشيد ما يستحقه من الأجرة، وتنازل عن إصراره عليه بمواصلة عمله.

ثم رأى السيد رشيد بعد ذلك معماراً آخر ليكمل البناء، ويتم ما يلزم ترميمه من المشهد المبارك.

مشهد المحسن بن الإمام الحسين (عليهما السلام)

كان لي أحد الأصدقاء القدامى ويدعى: الشيخ إبراهيم الضرير، وقد عمّر طويلاً وتجاوز عمره على المائة عام، وكان هو من البلاد السورية ويعيش في مدينة حلب، وكان يقيم صلاة الجماعة في حلب في مشهد المحسن السقط ابن الإمام الحسين (عليه السلام) المعروف هناك باسم: (شيخ محسن)، فقال لي:

إنه ـ وفي قصة ـ ظهر بدن المحسن ابن الإمام الحسين (عليه السلام) الذي استشهد قبل أكثر من ألف سنة بسقوطه وهو حمل في بطن أمه، كما استشهد عمه الذي سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في بطن أمه محسناً، بسقوطه وهو حمل في بطن أمه فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) ظهر البدن وهو غض

طري، كأنه استشهد الآن، وكأنه سقط من بطن أمه لتوّه، ورآه كثير من الناس، وأيقنوا بكرامة هذا البيت الطاهر على الله تعالى، وعرفوا أن ذلك معجزة لهم (عليه السلام) ثم كفنوه وأرجعوه إلى ضريحه ومرقده، وبنوا عليه قبة، وأشادوا حوله حرماً ومسجداً، وهو إلى اليوم مزار للمسلمين، يقصدونه من كل حدب وصوب.

مشهد النقطة

وهناك في مدينة حلب، وفي جوار مشهد المحسن بن الإمام الحسين (عليه السلام) مشهد آخر يقصده الزائرون من كل مكان ويشدّ الوافدون إليه الرحال من أقصى الأرض وأدناها، ويعرف باسم: (مشهد النقطة).

ويقال له مشهد النقطة، لأن في هذا المشهد المبارك صخرة عليها نقطة دم من دماء رأس الإمام الحسين (عليه السلام) الذي استشهد في كربلاء على يدي بني أمية، وقد أمر بنو أمية بحمل الرؤوس إلى الشام فمروا بها في طريقهم إلى دمشق بضواحي مدينة حلب، وهنا وفي المنقطة المعينة وهي منطقة جبلية في غربي حلب وفي إحدى مرتفعاتها ويعرف بجبل الجوشن أو جبل النحاس، أسقطت أم المحسن جنينها محسناً من شدة ما أصابها من وعثاء الطريق ووعورة المنطقة وصعوبة المراكب وعري النياق، وفيها أنزلوهم لدفن السقط محسناً، ووضعوا رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في المنطقة نفسها على صخرة كانت هناك، فسقط على الصخرة نقطة دم من الرأس الشريف، فصار يفور الدم فيها، وظهرت بذلك معجزة الإمام الحسين (عليه السلام) على هذه الصخرة، فاتخذ سيف الدولة الحمداني حولها صندوقاً وضريحاً وشيد عليها قبة وبنى حولها مسجداً.

وقد ذكر الشيخ إبراهيم(رحمه الله): عندما كانت الحرب قائمة بين الغرب بزعامة البريطانيين من جهة والمسلمين بقيادة العثمانيين من جهة، جعلوا مشهد المحسن ابن الإمام الحسين (عليه السلام) مخزناً للعتاد ومستودعاً للذخيرة والسلاح، واستفادوا من المشهد الشريف استفادة غير مشروعة حيث جعلوها نقطة عسكرية، مع انها كانت مركزاً للعبادة والزيارة.

ثم إنهم لما استخدموا المشهد الشريف مخزناً للعتاد ومستودعاً للذخيرة والسلاح اتفق أن العتاد الموجود في المشهد انفجر وهدم المشهد الشريف، فذكر عن الشيخ محمد دحدوح، وكان من علماء حلب عن والده: أنه لما تعرض المشهد للانفجار الرهيب الذي هدم المبنى المبارك، نقلوا الصخرة المقدسة إلى جامع زكريا (عليه السلام) فلما وضعوها هناك صارت الصخرة تهتز وترتجف ولم يكن لها استقرار، فعرفوا من ذلك أن الصخرة تأبى أن توضع هنا، فغيروا مكانها فلم تستقر، فاقترح بعضهم على أن توضع الصخرة على دابة، وتترك لتسير وحدها، ففعلوا ذلك فسار ذلك الحيوان وهم يتبعونه، حتى إذا وصل إلى مقام المحسن ابن الإمام الحسين (عليه السلام) توقف أمامه، ففهموا من ذلك أن دم الإمام الحسين (عليه السلام) على الصخرة حنّ إلى ولده، وجاءوا بالصخرة ووضعوها هناك فاستقرت، إلى أن تم بناء مشهد النقطة ونقلت الصخرة إلى مكانها ولازالت هناك يقصدها المؤمنون للزيارة ويدعون الله عزوجل فتقضى حوائجهم.

قصص من مزارات العراق

مشهد العباس (عليه السلام)

نقل لي والد زوجتي الحاج صالح معاش (رحمة الله عليه) وكان من الرجال الأخيار، ويسكن في كربلاء المقدسة القصة التالية قائلاً:

إن في الأيام الأخيرة من الحكم العثماني، وقبل احتلال البريطانيين للعراق، أرسل العثمانيون جيشاً ضخماً مؤلفاً من الجنود الأتراك لإبادة كربلاء وقتل أهلها.

فلما جاء الجيش إلى كربلاء ودخلوا المدينة، دخولها من الجهة الشمالية أي: من جهة باب بغداد لأنهم أتوا من بغداد، وكان أول ما يلاقيهم في طريقهم هو مشهد العباس (عليه السلام).

فدخل الجيش التركي المدينة على حين غفلة من أهلها، علماً بأن الأهالي كانوا لا يطيقون مقاومتهم والوقوف في وجههم، ولذلك التجأوا إلى مشهد أبي الفضل العباس (عليه السلام) وتوسّلوا به إلى الله تعالى ليدفع عنهم شر الأتراك، وبينما هم كذلك، والجيش يزحف داخل كربلاء لينفذ خطته السوداء، إذا بنار ملتهبة تخرج من جهة القبة المنورة لروضة أبي الفضل العباس (عليه السلام) وتحيط بالأتراك، فينهزم الأتراك وكأنهم يرون أبا الفضل العباس (عليه السلام) قد كرّ عليهم بسيفه.

نعم أخذ الأتراك ينهزمون ويفرّون من كربلاء باتجاه باب بغداد، أي بالاتجاه الذي أتوا منه وهم يصيحون باللغة التركية ويقولون: «إمام عباس كلدي» يعني: كر علينا العباس (عليه السلام) بنفسه، والسنة يحترمون العباس ويخافون منه، ويطلقون عليه كلمة: الإمام.

قال العم الحاج صالح معاش وهو يواصل حديثه: لقد رأيت النار التي خرجت من جهة القبة المنورة لروضة العباس (عليه السلام) ورآها الجميع أيضاً، وشاع خبرها في كل مكان.

وهكذا كان ولا زال أبو الفضل العباس (عليه السلام) يحمي الدخيل، ويأوي النزيل، ولا يخيب أمل الذين لجأوا إلى روضته، ولاذوا بحرمه، ويدافع عن مجاوريه وأهل بلدته، فقد هزم جيش الأتراك، ولم يدعهم يمسّوا كربلاء وأهلها بسوء أبداً.

في روضة أبي الفضل (عليه السلام)

كان لي صديق من العلماء في كربلاء المقدسة يعرف بالشيخ التوكلي، وهو اليوم من علماء قم المقدسة، وقد ذكر لي القصة التالية وقال:

ذهبت في يوم من الأيام لزيارة مرقد أبي الفضل العباس (عليه السلام)، فلما دخلت إلى الروضة المباركة، إذا بي أرى الناس يفرون نحو الباب، فتعجبت وسألت عن الخبر.

فقالوا: أنظر داخل الروضة وبقرب الضريح.

فنظرت ورأيت امرأة قد انشدّت بالضريح بقوة، وقد شوّر بها أبو الفضل العباس (عليه السلام) لأنها كانت قد اتهمت بالخيانة، فانكرت، فجعلوا الحكم للعباس(عليه السلام) والحلف عنده، فحلفت به كذباً وزوراً، فأصابها ما أصابها، ثم انفكّت من الضريح وابتعدت عنه قليلاً، وإذا بها وللمرة الثانية قد انشدت واندكت بقوة على الضريح، ثم انفكّت من الضريح مرة أخرى حتى إذا ابتعدت عنه خطوات اندكت وبشدة للمرة الثالثة على الضريح، كل ذلك وهي تصرخ وتصيح، والناس قد امتلؤوا رعباً، وهم يفرون من شدة رعبهم، وفي المرة الأخيرة عندما اندكت بالضريح وبكل شدة، صرخت صراخاً عالياً ووقعت مغشياً عليها، عندها جاءها أهلها وذووها، وجرّوها إلى خارج الروضة المباركة ووضعوها في إحدى الحجرات المحيطة بالصحن الشريف، فماتت هناك.

ثم أضاف الشيخ قائلاً وهو منفعل بالقصة، وكأنه يشاهد المنظر الرهيب الذي قصه علينا عن قرب: وإني أيضاً كبقية الزائرين لم أتمالك نفسي من شدة الرعب الذي داهمني من هيبة القضية، ولم أستطع أن أبقى متفرجاً على الحادث، بل خرجت وبسرعة تامة من الروضة العباسية المباركة وأنا أرتجف خوفاً، وارتعش رعباً.

في حرم الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

ينقل أحد علمائنا الكبار وهو النراقي (قدس سره)(٣٣) في بعض كتبه القصة التالية قائلاً:

سافرت ذات مرة إلى العتبات المقدسة، وفي الكاظمية تشرفت بزيارة الإمامين الهمامين: الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) والإمام محمد بن علي الجواد(عليه السلام)، وعندما كنت في الروضة المباركة مشتغلاً بقراءة الزيارة المأثورة، إذا بجماعة متنازعين دخلوا إلى الروضة، ثم قدموا امرأة من بينهم نحو الضريح لتحلف على براءتها، لأنها كانت متهمة بالخيانة وقد أنكرت، فجاء أحد خدمة الروضة وحذّرها من أن تحلف كاذبة أشد التحذير، ثم قال لها: احلفي هكذا، وعلمها كيفية الحلف، فلما حلفت إذا بها ترتفع عن الأرض عدة أذرع ثم تضرب وبكل قوة على الأرض ضرباً عنيفاً، ثم ارتفعت مرة ثانية عن الأرض وبقدر تلك المرة وضربت للمرة الثانية أيضاً ضرباً قاسياً على الأرض بحيث غشي عليها، وانخمد صوتها بعدما كانت تصرخ في كل مرة صراخاً عالياً، وتصيح صيحة منكرة.

عندها تبين لأهلها وللناس جميعاً انها كانت كاذبة في حلفها، فجاءوا إليها وأخذوها إلى خارج الحرم.

٣٣ـ هو المولى أحمد بن مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، ولد في قرية نراق بكاشان الإيرانية، سنة ١١٨٥ هـ وأخذ مقدمات دروسه في النحو والصرف وغيرها في بلده حتى برع فيها، ثم قرأ الفقه والأصول والحكمة والكلام عند والده المولى النراقي، امتاز(رحمه الله) بحدة الذهن والذكاء الوقاد وهذا ما أهله لتسلم مراحل الفضل العلم بسرعة، رحل إلى العراق فحضر درس السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، وقصد كربلاء فحضر درس السيد الطباطبائي صاحب الرياض، والميرزا الشهرستاني. انتهت إليه الرئاسة بعد وفاة والده حتى انه حضر درسه الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، توفي في نراق إثر الوباء الذي اجتاح تلك البلاد في عام ١٢٤٥هـ فحمل إلى النجف الأشرف حيث دفن في الصحن العلوي الشريف بجانب والده جهة باب الطوسي. انظر مقدمة كتابه مستند الشيعة.

يقول النراقي (قدس سره) تأثرت من هذه القصة تأثراً بالغاً، وسألت عن مصير المرأة وعاقبتها فتبين أنها قد ماتت في اليوم الثاني من قصتها.

عند سبع الدجيل: السيد محمد(عليه السلام)([٣٤])

إن السيد محمد(عليه السلام) المعروف عند العراقيين بسبع الدجيل، هو ابن الإمام علي الهادي (عليه السلام)، وله مزار مشهور في قضاء (بلد) ويقع في منتصف الطريق بين الكاظمية وسامراء، وبالقرب من ناحية (الدجيل) التي قد أبادها الطاغية صدام عندما تعرض فيها لحادث اغتيال.

وكيف كان: فالسيد محمد المعروف بالفضل والجلال، وبما يبديه من الكرامات الخارقة للعادات، ويتشرف بزيارته كثير من الناس، وينذرون له النذور، ويهدون إليه الهدايا الكثيرة، ويسألون الله عنده وبحقه حوائجهم، والعرب في تلك المنقطة تهابه وتخشاه، وتحسب له حساباً خاصاً.

إنه(عليه السلام) كان عظيم المنزلة عند الله، كبير المقام عند الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حتى انه لما توفي شق عليه أخوه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) جيبه في عزائه.

ولقد نقل لي السيد الوالد (قدس سره) القصة التالية في حق السيد محمد بن الإمام الهادي (عليه السلام) قائلاً:

كنت كثيراً ما أتشرف بزيارة السيد محمد(عليه السلام) وذلك أيام ما كنت مجاوراً للإمامين العسكريين (عليهما السلام) في سامراء المشرفة، وذات مرة وأنا داخل في الروضة المباركة، ومشتغل بالزيارة، إذا بأحد الزائرين وكان رجلاً جسيماً ووسيماً، صار في حالة شبيهة بالغيبوبة وبدأ يتكلم بأمور شبيهة بالغيب، مما يسمّي العرب هذه الحالة ويعبر عنها: (بأن السيد محمد صاح برأسه).

قال والدي (رحمه الله): فأخذ هذا الرجل يخاطب بعض الناس بأسمائهم ويقول: يا فلان لماذا جئتني وأنت مديون؟ ويقول لآخر: يا فلان لماذا لم تف بنذرك؟ ويقول لثالث: يا فلان أين الذبيحة التي عزمت على ذبحها عند مشهدي؟.

وأضاف والدي (رحمه الله) قائلاً: وكان في الروضة المباركة الخطيب الحسيني المشهور عبد علي النجفي، وإذا بالرجل المتكلم يخاطبه باسمه ويقول: وأنت أيها الشيخ الخطيب عبد علي، لماذا لم تأت بنذرك الشيء

٣٤ـ هو السيد محمد المكنى بأبي جعفر أكبر ولد الإمام الهادي (عليه السلام)، المعروف بجلالة القدر وعظم الشأن حتى زعم بعض الناس أنه الإمام من بعد أبيه، ولكنه توفي قبل أبيه (عليه السلام)، يقع مزاره قرب قضاء (بلد) والتي تبعد عن سامراء ثمانية فراسخ، وهو من أجلاء أولاد الأئمة (عليهم السلام) وصاحب كرامات شهيرة حتى عند أبناء العامة والأعراب، وله هيبة جليلة فإن الناس لا يحلفون به كاذباً ويقسمون بحقه لفصل النزاعات، يقول صاحب كتاب (النجم الثاقب): لقد رأينا مراراً أن المنكر لأموال شخص مثلاً إذا طلبوا منه القسم بأبي جعفر كان يرد المال ولا يقسم، وذلك لتجربتهم أن الكاذب لو حلف به يصيبه الضر.

الكذائي؟ فما أن سمع الشيخ عبد علي بهذا الكلام من الرجل إلا وارتعدت فرائصه، ورجف قلبه، وخاف خوفاً كبيراً، لأنه كان قد نذر ذلك الشيء ثم تباطأ في أدائه.

عندها أقبل نحو الضريح بوجل، وأمسك الضريح بيديه وقال معتذراً: التوبة يا سيدي، التوبة يا سيدي، إني سآتي بنذري إليكم في أسرع وقت ممكن، ثم خرج من الروضة المباركة ليفي بنذره، وخرجت من ورائه، وقد ازددت بالسيد محمد ابن الإمام الهادي(عليه السلام) يقيناً، وله إخلاصاً ومودة.

نعم، لم تكن هذه الكرامة وأمثالها مختصة بالسيد محمد بن الإمام الهادي (عليه السلام)، وإنما هي وبصورة عامة مشهودة في كل المزارات المقدسة لأهل البيت (عليهم السلام) ولمن ينتمي إليهم من ذراريهم الصالحين، والكل يتحدث عن أمثال هذه الكرامات لمراقد أئمة البقيع (عليهم السلام) ولمرقد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولروضة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ولحائر الإمام الحسين (عليه السلام)، ولمراقد الأئمة (عليهم السلام) في الكاظمية وسامراء، ومشهد الإمام الرضا(عليه السلام)، رزقنا الله زيارتهم في الدنيا، وشفاعتهم في الآخرة، ومرافقتهم في الجنان، إن شاء الله تعالى.

مشهد أحمد بن هاشم

هناك مزار كريم، على بعد فراسخ من كربلاء المقدسة، وبالقرب من مدينة (شثاثا)(٣٥) المعروفة، يعرف بمزار ومشهد (أحمد بن هاشم) وكان قد عين لزيارته وقتاً خاصاً وموسماً معيناً، يقصد فيه كثير من الناس لزيارته.

فذهبت ذات مرة بصحبة الخطيب الحسيني الشهير فضيلة الشيخ عبد الزهراء الكعبي (رحمه الله) مع من يذهب إلى زيارته وفي جملة الزائرين، فلما وصلنا إليه رأينا، أن مشهده المبارك في نقطة من أرض صحراوية جرداء، خالية من المباني والعمارات، وكان الزائرون مدة تواجدهم هناك للزيارة، يسكنون في خيام معدة هناك للزوار، وكانت الخيام كثيرة جداً، لأن الوفود التي كانت تأتي للزيارة كثيرة جداً، ومن كل أنحاء العراق، من البصرة والعمارة، ومن الديوانية وبغداد، ومن غيرها من البلدان الأخرى.

وكان الناس هناك يذبحون غالباً الذبائح من الخرفان وغيرها بكثرة ووفرة، وقد أهدوا إلينا شيئاً من اللحم أيضاً، وقالوا: إن الناس لهم حوائج فيوسّطون أحمد بن هاشم إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم وينذرون له ذبيحة، فيقضي الله لهم حوائجهم فيأتون إليه لزيارته وللوفاء بنذرهم عنده، وهكذا تجري العادة في كل سنة وعام، ويقصده الزائرون من كل حدب وصوب.

ولقد تحققت في نسب هذا السيد الجليل أحمد بن هاشم، وفحصت عن شجرته العلوية، فرأيت أن نسبه الكريم ينتهي إلى السيد (إبراهيم المجاب) الذي هو ابن السيد محمد العابد ابن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) والذي هو مدفون في رواق من أروقة الروضة الحسينية المباركة، أي في الرواق الواقع إلى جهة الشمال الغربي من حرم الإمام الحسين (عليه السلام)، ويعود النسب بينه وبين جدّه الأعلى الإمام موسى بن

٣٥ـ وتعرف أيضاً بعين القمر، للتفصيل راجع موسوعة العتبات المقدسة: ج٨ قسم كربلاء.

جعفر (عليه السلام) إلى أحد عشر ظهراً، واذا كان هذا حال النسب البعيد والذي يمتّ بأهل البيت (عليهم السلام) عبر إحدى عشرة واسطة، فكيف يكون النسب القريب، وأهل البيت (عليهم السلام) هم أنفسهم؟

روضة الحر بن يزيد الرياحي

إن الحر بن يزيد الرياحي (رضوان الله عليه) هو أحد شهداء كربلاء الذي استشهدوا بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد اختار أن يكون من أوائل الشهداء الذين سقطوا على أرض كربلاء بإذن من الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه كان هو أول من اعترض الإمام الحسين (عليه السلام) وسد عليه الطريق، وذلك في قصة معروفة(٣٦).

وفي يوم عاشوراء وبعد أن استشهد الجميع، أمر ابن سعد بأن تفصل رؤوس الشهداء عن الأبدان وتجعل على الرماح لإهدائها إلى الكوفة والشام، كما وأمر بان تداس الأبدان الطاهرة بجرد الخيل، فسمعت عشيرة الحر وهم بنو رياح بذلك، وكان الحر كبيرهم وعميدهم فطلبوا من ابن سعد بأن يأذن لهم في إبعاد الحر من أرض المعركة ودفنه بعيداً عنها، فإذن لهم ابن سعد بذلك، فحملوه ودفنوه في مزاره المعروف حتى هذا اليوم.

نعم، إن الحر دفن على مسافة فرسخ واحد من كربلاء وعلى جهة المغرب، وله ضريح ومرقد، وقبة وروضة، وصحن واسع وكبير محيط بالروضة، ويزوره الزائرون من كل أطراف الدنيا، وليس من العراق فحسب، وينذرون له النذور ويوسطونه إلى الله تعالى في حوائجهم، فيقضي الله لهم حاجاتهم، وخاصة حاجة الشباب من أولاد وبنات، حيث كانوا يزورونه وينذرون له بصورة خاصة للتسريع في زواجهم، فتقضى حوائجهم، وكانوا يقرؤون عنده وعلى ضريحه المبارك أبياتاً من الشعر الشعبي الدارج، تفصح تلك الأبيات عن مرادهم ومكنونهم الذي هو: التسريع في أمر زواجهم(٣٧).

من بركات مشهد السيدة زينب (عليها السلام)

عندما أنقذ الله تعالى أخي الشهيد آية الله السيد حسن من سجن العفالقة الرهيب، ومن التعذيب القاسي والوحشي الذي يمارسونه ضد الأبرياء، غادر العراق إلى سوريا ولبنان للمعالجة والاستجمام، وقام في سوريا

٣٦- راجع اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦١ مبارزة أصحاب الحسين (عليه السلام).

٣٧- فكان يقول البعض على بساطته وعقيدته من الرجال:

ي حر اجيتك من وره***وأريد من عندك مره

وما النساء فيرددن:

ي حر اجيتك بالحجل**وأريد من عندك رجل.

بتأسيس الحوزة العلمية الزينبية، ومدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) في لبنان، وقد رأيت المدرسة في لبنان، كما زرت الحوزة العلمية الزينبية في سوريا أيضاً، وهي اليوم ولحين كتابتي هذه السطور، حوزة ناشطة وتضم المئات من رجال الدين والعلماء الأفاضل، علماً بأن في جوار السيدة زينب (عليها السلام) أكثر من ألف طالب بين متخرج ومشتغل.

وقد لاقى الأخ الشهيد في تأسيسها المصاعب الشديدة، والمضايقات الكثيرة، فإن المنطقة كانت في يوم من الأيام عاصمة الأمويين، وكان من الصعب جداً تأسيس حوزة علمية شيعية على طراز الحوزات العلمية المتعارفة في العراق وفي إيران.

نعم، لاقى الأخ الشهيد ما لاقى من المضايقات، وقد سجن الكثير من رجال الدين ودارت عليهم الدوائر من كل مكان، وضاقت على جميعهم الدنيا بما رحبت، وكان ثقل كل هذه المشاكل على عاتق الأخ الشهيد، ولما لم ير الشهيد منفذاً يمكنه مواصلة عمله من خلاله، كان يأتي إلى حرم السيدة زينب (عليها السلام) ويقف أمام ضريحها المبارك بخشوع ويطلب منها التوسط إلى الله تعالى في الفرج عنه وعن بقية أصدقائه وإخوانه من رجال الدين، والديمومة لمسيرة الحوزة التي تشرفت باسمها.

وما أن يرجع الأخ الشهيد من عند السيدة زينب (عليها السلام) إلا ويسمع بالفرج عن جميع إخوانه وأصدقائه، وبرفع المضايقات التي كانت موجهة عليهم وعلى الحوزة العلمية الزينبية.

السيدة زينب (عليها السلام) تغيث زائرها

نقل لي أحد الأصدقاء الذي تشرفوا بزيارة السيدة زينب (عليها السلام) القصة التالية قائلاً:

كنت في مشهد السيدة زينب (عليها السلام) مشغولاً بالزيارة إذ أتت امرأة عراقية تضجّ وتبكي، وتلتجئ وتتوسل بالسيدة زينب (عليها السلام) وتقول: يا سيدتي لقد سرقوا مالي، وليس لي مال أرجع به إلى بلدي، فما افعل وأنا في بلد غربة؟

كانت المرأة تكرر ذلك وهي تضج وتبكي، فأثارت بذلك رحمة الناس واهتمامهم بقضيتها، فجمعوا فيما بينهم مالاً محترماً وقدّموه لها، لكنها أبت أن تأخذ ذلك المال، وقالت: إني لا أريد إلا مالي، ولا أريد مالي إلا من السيدة زينب(عليها السلام)، ثم استمرت في ضجّتها وبكائها، ولم يستطع أحد تهدئتها، ولا إقناعها بأن تأخذ المال الذي جمعوه بينهم وقدّموه لها.

واصلت المرأة العراقية ضجتها وبكاءها، وبث همومها وحزنها للسيدة زينب (عليها السلام) وبينما هي كذلك وإذا بامرأة سورية دخلت الحرم وأقبلت نحوها وقدمت لها محفظة فيها مال وقالت: أليس هذا مالك؟

صرخت المرأة العراقية لما رأت المحفظة وهي تقول: نعم، إنها محفظتي، فهل المال موجود فيها؟

قالت: نعم إن المال موجود فيه، فعديه.

فأخذت المرأة محفظتها وفتحتها وبدأت تعد النقود التي كانت فيها، فما أن أتمت عدها حتى صاحت وهي فرحة: نعم، انه تام ولم ينقص منه شيء، ثم شكرت المرأة على ذلك، وبعدها تقدّمت نحو ضريح السيدة زينب

(عليها السلام) وقالت: شكراً لك يا سيدتي يا بنت أمير المؤمنين، أشهد إنك نعم الملاذ ونعم الملجأ، فانه لا يخيب من رجاكم، ولا يضيع من لجأ إليكم.

عندها أقبل الناس على المرأة السورية وسألوها: كيف حصلت على المحفظة، ومن أين علمت بأن صاحبتها في الحرم الشريف؟

قالت: إن صاحبة المحفظة زائرة عراقية وقد نزلت عندنا في الفندق في دمشق، ولنا في الفندق خدم يقومون بخدمة الزائرين، فاتفق أن إحدى النساء الخادمات دخلت الغرفة على الزائرة العراقية لتقوم بخدمتها، فرأتها نائمة ورأت محفظتها إلى جانبها وفيها نقود، فوسوس لها الشيطان فأخذته وخرجت.

بقيت الخادمة التي أخذت مال الزائرة كاتمة لما فعلت ونحن لانعلم بها، حتى قبل ساعة، إذ جاءتني بالمحفظة وهي تبكي وتقول: سيدتي التوبة لقد وسوس الشيطان لي فأخذت محفظة الزائرة العراقية وما فيها من مال وكتمت أمري عن كل أحد، وقبل قليل أخذتني غفوة وإذا بي أرى في المنام السيدة زينب (عليها السلام) وهي تأمرني بإيصال المال إلى صاحبتها، الزائرة العراقية، وتقول لي السيدة (عليها السلام): هي الآن في روضتي وحرمي، فأسرعي في ردّها إليها ثم هددتني وتوعدتني فيما لو لم أفعل ما تأمرني به، فانتبهت من غفوتي مرعوبة خائفة، وجئتك بالمحفظة، فتداركي يا سيدتي حالي وأوصليه إلى صاحبتها في السيدة زينب (عليها السلام).

فأخذت أنا بنفسي المحفظة وجئت مسرعة من دمشق إلى السيدة زينب (عليها السلام) لأوصلها إلى صاحبتها، فأتيت ورأيت الأمر كما وصفت.

وهذه القصة العجيبة الدالة على كرامة السيدة زينب (عليها السلام) ومقامها الكبير عند الله، حدثت إبان كنا في سوريا مع والدي (قده) ونحن في طريقنا إلى حج بيت الله الحرام، وذلك قبل حوالي نصف قرن من الزمان تقريباً.

القرآن لسعادة الدنيا والآخرة

عندما كنا في الكويت جاءني شاب في مقتبل العمر، وهو متعب مرهق، يعلو محيّاه آثار المرض، ويكسو وجهه عوارضه وعلاماته، فتأثرت من منظره وقلت له متسائلاً: كيف حالك؟

أجاب بكآبة: الحمد لله.

قلت: عافاك الله، وهل تعاني من مرض؟

قال: نعم، ولكن.

قلت: ماذا تعني من ولكن؟

قال: ولكن مرضي الذي أعاني منه لا يشبه الأمراض المتعارفة.

قلت: شافاك الله إن شاء الله وكيف لا يشبه مرضك الأمراض المتعارفة؟

قال: لأني كلما راجعت الأطباء، سخروا مني واستهزءوا بي، وكلما راجعت الحكماء ضحكوا علي وأعطوني

ما لم ينفعني لمرضي.

قلت: أسأل من الله تعالى أن يمن عليك بالعافية، وعليك أن لا تيأس من رحمة الله، ولا تتعب من الدعاء والتوسل بالرسول وأهل بيته (عليهم السلام).

قال: يا سيدي شكر الله تعالى سعيك وإرشادك، ثم أضاف وإني جئت لأبث إليكم ما ألقاه في مرضي، وأسألكم أن ترشدوني إلى ما فيه علاجي وشفائي.

قلت: وما هو مرضك الذي تعاني منه؟

قال: إني كلما تهيأت للنوم، وأخذت مضجعي لأنام، أزعجتني امرأة من الجن، وحرّمت عليّ نومي.

قلت: وكيف تحرمك من نومك؟

قال: إنها تأتيني أول اضطجاعي وتبيت معي تقرصني حتى الصباح، ولا تدعني أنام لأن قرصها مؤلم جداً، ويبقى أثره على جميع جسمي ومكانه مسوداً، فإذا جاء الصباح تركتني ورحلت، فأنام حينئذ قليلاً.

لما سمعت منه ذلك دعوت له بالشفاء، وكتبت له في ورقة شيئاً من سور القرآن وآياته: القلاقل الأربعة، قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وآية الكرسي(٣٨)، وآية السخرة(٣٩)، وقلت له بأن يجعلها معه، ودعوت له بالعافية، والخلاص والراحة من مشكلته.

فرح الشاب بذلك كثيراً، وودعني وانصرف.

ثم انه جاءني بعد مضي أسبوع من ذلك، وآثار الشفاء تعلو محياه، والبشر يكسو وجهه، وهو فرح أشد الفرح، ويشكرني جزيل الشكر، ثم قدم لي كمية من المال وهو يصرّ عليّ أن اقبلها، فأبيت من قبولها وصرّحت له وأنا أحاول اقناعه بأن يسترد المال قائلاً: إني إن أخذت المال ذهب اثر الدعاء إذ للإخلاص والقربة أثر، ولم يكن ذلك الأثر لو صار العمل للمال. عندها رد المال إلى جيبه وشكرني كثيراً وسلّم علي وانصرف.

عودا على بدء

لقد كان في خروجنا من العراق إلى سوريا، ومنها إلى لبنان، ثم الكويت، وأخيراً إيران، نوع مواساة لإخوتنا الذين هجرهم الحكام الطغاة بعد ذلك.

كما انه كان نوعاً من الرحمة لي، إذ توفقت لزيارة كثير من مزارات أهل البيت (عليهم السلام) والتشرف بمشاهدهم المباركة، وتوفقت أيضاً لأن أتعرف على أخوة إيمانيين كثيرين، كما توفقت أيضاً وبتعاون طيب من الأخوة البررة والأصدقاء الأوفياء، أن أوسس المؤسسات الدينية والثقافية، والخيرية والاجتماعية، في عدد من

٣٨- سورة البقرة: ٢٥٥-٢٥٧.

٣٩- سورة الأعراف: ٥٤-٥٦ والآيات هي: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)).

البلدان، خاصة التي مررت بها.

ففي الكويت مثلاً: توفقنا لتأسيس مدرسة، ومكتبة، وحسينية، ومساجد، وهيئات ومجلات، وغير ذلك، ولعل مجموعها يصل إلى أكثر من مائة مؤسسة كبيرة وصغيرة، وهي بحمد الله مستمرة وباقية حتى اليوم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ما عدا بعض المجلات فانها تعطلت مثل: (الفتاة التقدمية) وهي خاصة بالمرأة، ومثل (الإيمان) وهي مشتركة، لكن بعد ذلك أخذت المجلات الخاصة بالمرأة تصدر وتنتشر، كما وأخذت تزداد وتكثر، حتى إني رأيت قبل مدة ما يقارب عشر مجلات تصدر من هيئات نسوية، وما أشبه، وهذا مما يبشر بخير، إذ على المرأة أن تواكب الرجل في المجال العلمي والثقافي مراعية حجابها وحشمتها وكرامتها.

ثم إن المساجد التي وفقنا الله لتأسيسها في الكويت، بلغت ما يقرب من عشرة مساجد، وذلك في قصص طويلة ومفصلة، وفي نفس الوقت هي جميلة ولطيفة، وتجربة عملية وتطبيقية.

ثم إنه لما سافرنا إلى إيران، وذهبنا إلى قم المقدسة، كان القصد هو الزيارة والالتقاء بالإخوان والسادة المراجع ثم العودة، ولكن بإصرار من السادة المراجع، والعلماء الأعلام، والفقهاء العظام في الحوزة العلمية في قم المقدسة، عزمنا على البقاء، كالسادة المراجع:

السيد الشريعتمداري(رحمه الله)(٤٠).

والسيد الكلبايكاني(رحمه الله)(٤١).

والسيد المرعشي(رحمه الله)(٤٢).

والشيخ مرتضى الحائري(رحمه الله)(٤٣).

والشيخ هاشم الآملي(رحمه الله)(٤٤) وغيرهم.

فعزمت على البقاء استجابة لهم، وبقيت فيها حتى هذا اليوم، سائلاً من الله سبحانه وتعالى أن يجعل بقاؤنا في قم المقدسة مقروناً برضاه.

٤٠ـ آية الله العظمى السيد كاظم الشريعتمداري (قدس سره) كان أحد أكبر مراجع التقليد، من مؤسساته دار التبليغ الإسلامي، عاش ومات مظلوماً ودفنوه على خلاف وصيته في مكان لا يليق بقدسيته.

٤١ـ آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني (قدس سره) كان من أهم مراجع التقليد له عدة مشاريع منها مدرسة علمية ضخمة على قرب من مقام السيدة معصومة (عليها السلام).

٤٢ـ آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (قدس سره) كان من أهم مراجع التقليد. ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٥هـ يتصل نسبه بـ ٣٣ واسطة إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) والده العلامة السيد محمود شمس الدين، من أهم مشاريعه المكتبة العامة في قم المشرفة والتي تعتبر من أهم المكتبات العالمية وفيها عشرات الآلاف من المخطوطات النادرة، توفي (رحمه الله) في ٧ صفر ١٤١١هـ ودفن بجوار مكتبته حسب وصيته.

٤٣ـ آية الله الشيخ مرتضى الحائري (قدس سره) ابن الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة، ولد عام ١٣٣٤هـ في مدينة أراك الإيرانية وتوفي في شهر جمادى الثانية سنة ١٤٠٦هـ.

٤٤ـ كان (قدس سره) من أهم العلماء والمراجع في قم المقدسة.

خاتمة

وأخيرا فقد أسسنا والحمد لله بتوفيق منه تعالى ونحن في قم المقدسة إما مباشرة وإما بالتسبيب تشويقاً وترغيباً، وتشجيعاً وتوجيهاً، مئات من المؤسسات الدينية والثقافية والخيرية والاجتماعية من المساجد والحسينيات والجرائد والمجلات الدينية والمكتبات ومواقع الانترنت في مختلف بلاد العالم(٤٥).

والمرجو من الله عز وجل أن يجعل هذه الأمور مفيدة ومثمرة وان نتمكن من الاستفادة منها في نشر الإسلام ونشر ثقافة القرآن، وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) استفادة بالمستوى المطلوب، لينتشر نور الإسلام ونور القرآن ونور رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) إلى العالم أجمع.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك ويتقبل منا كل ذلك بقبول حسن، ويبارك لنا فيها، وهو الموفق المستعان، وصلى الله على محمد وآله لطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

٤٥- إن ما أسس بتشجيع سماحته وتشويقه وتوجيهاته تفوق الألف مؤسسة طيلة حياته المباركة، وكان قد نوى أن يؤسس عشرة آلاف مؤسسة إلا أن بعض الظروف منعت ذلك (الناشر).